تاريخ الإرسال (2019-02-22)، تاريخ قبول النشر (2019-03-17)

مؤسسة فرعون الإرهابية في ضوء قصة فرعون وموسى عليه السلام دراسة موضوعية قرآنية

اسم الباحث: د. إبراهيم عيسى صيدم [1] *

1 اسم الجامعة والبلد: التفسير وعلوم القرآن - كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: isydum@hotmail.com

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوعاً قرآنياً هاماً، يلقي بظلاله على واقع مرير يعيشه العالم عامة، والمسلمون خاصة، فهو يعرض موضوع الإرهاب من خلال قصة موسى مع فرعون، معرِّفاً بالإرهاب، ومرجحاً لتعريفٍ يتناسب مع دلالات الآيات، ومبيِّناً أن الإرهاب له وجهان: وجهٌ محمود ووجهٌ مذموم، مع التركيز على الإرهاب المذموم من خلال قصة موسى عليه السلام وفرعون. وقد تمَّ جمْع آيات الموضوع والوقوف عند كل آية تناولت جانباً من جوانب الإرهاب الفرعوني لموسى وبني إسرائيل، واستخلاص وجه الإرهاب فيها، ودراستها دراسة موضوعية، وربطها بالواقع ما تيسر الربط، ثم خلص البحث بأهم النتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: إرهاب - موسى - فرعون

Pharaoh’s Terrorist State in the Light of Pharaoh and Moses Story

A Quranic Objective Study

Abstract:

This study discusses an important Quranic topic having significant implications on the world in general and the Muslim world in specific. It presents terrorism in light of Prophet Moses story with Pharaoh. The researcher defines terrorism and provides a definition which suits the implications of the Quranic verses. The research explains that terrorism is twofold: a good terrorism and a bad one and focuses on the former in the light of Moses story with Pharaoh. The researched extracted the verses related to the story of Prophet Moses and Pharaoh and carefully examined each verse which discussed the Pharaoh terror against Moses and the Children of Israel. This aims to objectively highlight the concept of terrorism in the selected verses and link such concept to the present reality. The research concludes with key findings and recommendations

Keywords: terrorism, Moses, Pharaoh

المقدمة:

يا رب هيّئ لنا من أمرنا رشداً، واجعل معونتك العظمى لنا سنداً.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، هدى الله به الإنس والجن معاً، وجعله روحاً ونوراً يهدي به من يشاء من عباده، وفيه ما يكفي وزيادة لكل عصر وجيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإن علم (تفسير القرآن) من أشرف العلوم وأجلّها؛ لأنه علم يتصل بأشرف كتاب، ومعلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم، ولا شك بأن من فروع هذا العلم الجليل علم (التفسير الموضوعي)، وهو من أنواع التفسير الجديدة التي تلبّي حاجات العصر.

وسوف نسلّط الضوء في هذه الدراسة على موضوع: **(مؤسسة فرعون الإرهابية في ضوء قصة فرعون وموسى عليه السلام دراسة موضوعية قرآنية).**

أهداف الموضوع:

يهدف موضوع البحث إلى:

1. التعريف ببعض أسباب الإرهاب لدى الظالمين، ومقوّمات المؤسسة العسكرية الظالمة وطرقها وأساليبها، وبيان طرق النجاة والوقاية من الظَّلَمَة.
2. تكشف هذه الدراسة لإنسان هذا العصر عن حقيقة ثابتة في هذا الكون، وهي أن حلقة الصراع بين الحق والباطل قائمة لا تتوقف ولا تنتهي إلا بانتهاء الباطل وزواله، وأن صورة الصراع قد تتغير في أشخاصها ووسائلها وأساليبها من زمان إلى زمان، ومن جيل إلى جيل؛ لكن الهدف لا يتغير، كما أن نتيجة الصراع بين الحق والباطل هي انتصار الحق، وهي سنة إلهية جارية باقية أبد الآباد.
3. ربط الموضوع بالواقع ما أتيحت الفرصة لذلك.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع الدراسة في الآتي:

1. إن هذا الموضوع يعتبر جديداً، يدرس موضوعاً حيوياً عالمياً، حيث تناول جانب الإرهاب الذي عُقِدت حوله مؤتمرات وندوات ومحاضرات، وأُقيمت حوله الأبحاث والدراسات، وتكلم فيه الساسة وغيرهم في مختلف المجالات، وأراد أكثرهم أن يعرّفه بما ينسجم مع هواه ولا يتعارض مع مصالحه، ولا زال الحديث عنه مستمراً لا ينقطع، فحينما نتكلم عن دراسة قرآنية حول هذا الموضوع؛ فإن نتيجة هذه الدراسة ستكون أصدق النتائج، بل إنها تضع الأمور في نصابها، فيتميز الإرهاب الذي يحقق المصالح الشخصية التي تكون على حساب البشر عن الإرهاب الذي جاء ليحمي مصالح الناس ويحفظ حقوقهم. إنه يمثل جانباً تطبيقياً للون من ألوان التفسير الموضوعي، وهو نوع من أنواع التفسير الحديثة.
2. إن هذا الموضوع يمثل جانباً تطبيقياً للون من ألوان التفسير الموضوعي، وهو نوع من أنواع التفسير الحديثة، يستدعي الكتابة فيه، وإكثار الدراسات الإسلامية حوله عموماً، والقرآنية منها خصوصاً.

سبب اختيار الموضوع:

كثيراً ما تستوقفني آيات القرآن الكريم، وتثير انتباهي إلى النظر فيها، والتعرف على مكنونها، ومن هذه الموضوعات التي أثارت فضولي إلى التعرف عليها قصة موسى عليه السلام وفرعون، وما وقع فيها من إرهاب فرعون الطاغية لموسى عليه السلام وبني إسرائيل، وكيف كان هذا الإرهاب منظَّماً، له مؤسسة ترعاه وتحافظ عليه، وتدافع عنه، فقرَّرْتُ أن أكتب هذه الدراسة؛ لما بينها وبين إرهاب العصر من تشابه في كثير من الجوانب.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات حول الإرهاب، ولكن من خلال بحثي واستقصائي حول هذا الموضوع الذي يختص بدراسة إرهاب فرعون في قصة موسى عليه السلام من خلال مواضعها في القرآن الكريم – تبين أنه لم يُكتَب فيه فيما أعلم والله أعلم.

حدود الدراسة:

هذا البحث سلط الضوء على جانب من جوانب الإرهاب السلبي المتمثل في إرهاب الطاغية فرعون، ولم يتم الحديث عن الإرهاب الإيجابي الذي يكون من جهة موسى عليه السلام.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي، مع الاستعانة بالمنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي، وهو ما يتحقق من خلال ما يلي:

1. عزو الآيات إلى مواضعها في سورها.
2. تخريج الأحاديث الواردة في البحث، على أن أكتفي بالصحيحين إن كان الحديث فيهما أو في أحدهما، فإن لم يرِد خرجته من مظانه، مع نقل حكم العلماء عليه إن وجد.
3. الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع.
4. توضيح معاني المفردات اللغوية التي تحتاج إلى بيان في الحاشية.
5. تسليط الضوء على الإرهاب السلبي المذموم من خلال قصة فرعون مع موسى عليه السلام.

خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

تمهيد:

يتضمن معنى الإرهاب لغة واصطلاحاً، وأثر المفهوم الخطأ للإرهاب، واستعمال القرآن لمادة (رهب)، ونظائر هذا المصطلح في الآيات القرآنية.

المبحث الأول: مقومات دولة فرعون الإرهابية:

المطلب الأول: الجهاز العسكري

المطلب الثاني: الجهاز الأمني

المطلب الثالث: التأييد الشعبي

المطلب الرابع: الممتلكات العامة

المبحث الثاني: مظاهر إرهاب فرعون:

المطلب الأول: الإكراه

المطلب الثاني: الحرب النفسية

المطلب الثالث: اتخاذ سياسة فرِّق تسُد

المطلب الرابع: التهديد والتنفيذ

المطلب الخامس: عقد المؤتمرات واتخاذ القرارات

المطلب السادس: سياسة الإخراج

المطلب السابع: اللجوء إلى الحوار والإغراء

المبحث الثالث: وسائل الوقاية من إرهاب الظالمين:

المطلب الأول: غرس الثقة بالله والتوكل عليه

المطلب الثاني: التحلي بالصبر على البلاء

المطلب الثالث: الحُجَّة البالغة في محاورة الظالمين

المبحث الرابع: عاقبة الظلم والإرهاب

أولاً: هلاك الظالمين

ثانياً: نجاة موسى ﷺ والمؤمنين من أيدي الظالمين

أهم النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

تمهيد:

لا يخفى على أحد أن مصطلح (الإرهاب) قد راج استعماله في الفترة الأخيرة، واختلفت حوله المفاهيم، فبعضهم صرفه إلى معناه الصحيح، وآخرون صرفوه إلى معاني باطلة لتبرير مواقف معينة عندهم، واتخاذ إجراءات في حق من وُصِفوا بالإرهاب بحسب مفهومهم، وروّجوا لقبولها عالمياً؛ ليكون ذلك مسوّغاً لارتكاب مخالفات بحق هؤلاء الذين وصفوهم بالإرهاب؛ فقد دُكَّت شعوب بأعتى أنواع القوة (قنابل وصواريخ ... ألخ) تحت هذا الغطاء، بل وهُجِّرت شعوب أيضاً لأسباب لا تُقنِع عدواً ولا صديقاً.

إن القرآن الكريم قد ذكر لنا نموذجاً من نماذج الإرهاب والإجرام عبر التاريخ تَمثَّل في العنف والإرهاب المنظَّم الذي مارسه فرعون مع موسى ﷺ وبني إسرائيل، بمستويات مختلفة، ودرجات متفاوتة؛ من إكراه واستعباد وتهديد وقتل وتعذيب، وهذا البحث سيكشف اللثام عن هذه المؤسسة الفرعونية الإرهابية الظالمة، وبيان عاقبتها ومصيرها من خلال القرآن الكريم.

وهذه لمحة عن معنى (الإرهاب) وأثر الخطأ في المفاهيم حوله، وكذلك بعض المصطلحات المرادفة له المذكورة في القرآن الكريم:

أولاً: الإرهاب لغة:

تدل كلمة (رهب) على أصلين: أحدهما يدل على خوف، ومنه الرهبة، تقول: رَهِبْتُ الشَّيءَ رُهْباً ورَهَباً ورَهْبَةً. والإرهاب: قَدْع [1] الإبل من الحوض وذِيادُها. أما الأصل الآخر فيدل على دِقّة وخِفّة [2]. ولا شك أن المعنى الذي ينسجم مع موضوع البحث هو المعنى الأول الذي بمعنى الخوف.

ثانياً: الإرهاب اصطلاحاً:

" يُجمِع كل الذين كتبوا عن ظاهرة الإرهاب على أن هناك صعوبة بالغة تكتنف هذا المصطلح، وبالتالي يصبح الحديث عن إيجاد تعريف محدد له أمراً مستحيلاً، ومَردُّ هذه الصعوبة إلى طبيعة الأعمال الإرهابية واختلاف نظرة الدول لمثل هذه الأعمال، فما يراه بعضهم إرهاباً يراه الآخر عملاً مشروعاً، والعمل الذي يصنف إرهاباً لدى بعض الأفراد أو الدول يراه آخرون حقاً مشروعاً لمن قام به حسب الاتفاقيات الدولية، وقوانين الأمم المتحدة، وحقوق الإنسان المتفق عليها "[3].

وسأقتصر هنا على ذكر بعض التعريفات من وجهات نظر مختلفة، ومن ثم الوقوف التعريف الذي يراه الباحث.

التعريف الأول:

عرفته الخارجية الأمريكية بأنه: عنف تولده دوافع سياسية، ويُنَفَّذ – مع سبق الإصرار– ضد مدنيين لا صلة لهم

(1) معنى (قدع) كفّ ومنع. ابن منظور، لسان العرب (ج8/306).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج2/447).

(3)الهرفي، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (ص3).

بالحرب، أو ضد عسكريين عزل من السلاح تقوم به جماعات وطنية، أو عملاء سرّيون [4].

التعريف الثاني:

عرفه خبراء الأمم المتحدة بأنه: استراتيجية عنف محرمٌ دولياً، تحفزها بواعث عقدية (إيديولوجية) تتوخى إحداث الرعب داخل المجتمع لتحقيق الوصول إلى السلطة أو تقويضها [5].

التعريف الثالث:

وهو التعريف الذي تبناه مكتب التحقيقات الفيدراليّ الأمريكيّ FBI، الذي ينص على أن: " الإرهاب عبارة عن الاستخدام غير القانوني للقوة أو العنف ضدَّ الأفراد والممتلكات لإجبار أو إرغام حكومة أو مجتمع مدنيّ لتحقيق أهدافٍ سياسيَّة أو اجتماعيَّة [6]".

ويمكن أن يؤخذ على هذه التعريفات:

الأول منها: اقتصاره على الهدف السياسي من الإرهاب دون غيره، وحصره في وقت الحرب فقط، وكذلك الجهة المستهدفة بالإرهاب اقتصرت على المدنيين أو العسكريين العزّل.

أما التعريف الثاني وهو تعريف خبراء الأمم المتحدة، فقد حصر بواعث الإرهاب في الناحية العقدية، واقتصر في دوافعه على جانب السلطة أو تقويضها، وأغفل البواعث والدوافع الأخرى، وكأن هدف الإرهابي سُلْطَوي بحت.

والتعريف الثالث منها الذي تبناه مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي، فإنه أكثر شمولاً من سابقَيْه، فقد تناول الجانب البشري والمالي والسياسي والاجتماعي، لكنه لم يشتمل الإرهاب الواقع على الدين أو العِرض أو العقل.

كما أن التعريفات السابقة ثلاثتها اقتصرت على الإرهاب الواقع من الناحية المادية فقط، أما الجوانب النفسية والروحية والأخلاقية فلم يشملها أي تعريف، والتعاريف الثلاثة لم تهتم بشيء من الإرهاب الواقع على جوانب الطبيعة والبيئة المختلفة، سواء كانت حيوانات أو محميات طبيعية أو موارد طبيعية أو نحوها.

التعريف الرابع:

تعريف رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، التي عقدت عدة مؤتمرات علمية حول هذا الموضوع، حيث أصدرت الرابطة بياناً تحت اسم « بيان مكة » صدرت عن المجمع الفقهي بالرابطة؛ حيث عرّف الإرهاب بأنه:

" العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه ودمه وعقله وماله وعرضه ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أموالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها "[7].

ما يؤخذ على هذا التعريف:

هذا التعريف رغم شموليته لجميع الجوانب التي يقع عليها الإرهاب، ووسائله وطرقه، وكونه مخالفاً للشريعة الإسلامية والقانون الدولي، إلا أنه لم يتم الإشارة فيه من قريب أو بعيد إلى الإرهاب الذي يكون في نصرة الدين ورفع الظلم وإحقاق الحق وإبطال الباطل، لذا فإن الإرهاب من منظور شرعنا الحنيف لا بد أن يتناول الشِّقَّيْن: الشق السلبي الذي يكون بسبب البغي والفساد،

([4]) انظر: الصرهيد، حقيقة الإرهاب المفاهيم والجذور (ص10).

([5]) انظر: المرجع السابق (ص9).

([6]) سانو، في مصطلح الإرهاب وحكمه قراءة نقدية في المفهوم والحكم من منظور شرعي (ص9).

([7]) انظر: بدر، إرهاب المستأمن وموقف الإسلام منه (ص6-7).

وهو ما أشار إليه تعريف رابطة العالم الإسلامي، والشق الإيجابي الذي يكون لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهو الذي افتقر إليه هذا التعريف، بل وكل التعريفات.

التعريف المختار:

بناءً على ما سبق فإنه يمكن تعريف الإرهاب بأنه: **كل ممارسة يكون بها إلحاق أذىً مادي أو معنوي بالإنسان أو البيئة، بقصد الحق أو الباطل.**

قال ابن عاشور –رحمه الله –: " الإرهاب جعل الغير راهبًا، أي خائفًا؛ فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يَجْرَأ عليه؛ فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزوهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم: يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم، وأيضاً إذا رهبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم "[8].

قال الراغب: " الإِرْهَابُ: فزع الإبل، وإنما هو من: أَرْهَبْتُ. ومنه: الرَّهْبُ من الإبل– الناقة المهزولة– "[9].

فقولنا: (كل ممارسة) يشتمل على جميع الممارسات من قول أو فعل أو كتابة أو أي وسيلة أخرى يتحقق من خلالها وقوع الأذى بالمرهوب.

وقولنا (إلحاق أذىً مادي أو معنوي) يشتمل على صنوف الإيذاء المادية كالقتل والضرب والسجن ونحوها، والمعنوية كالرعب والتخويف والترويع ونحوها.

وقولنا (بالإنسان أو البيئة) يشتمل على ما وقع من إرهاب على الإنسان مؤمناً كان أو كافراً، حراً أو عبداً، ذكراً أو أنثى، سواء كان الإيذاء الواقع عليه في دينه أو عرضه أو عقله أو نفسه أو ماله، ويشمل كذلك ما وقع من إرهاب على البيئة سواء كان هذا الأذى بالحيوان أو الطير أو الموارد الطبيعية ونحوها.

وقولنا (بقصد الحق أو الباطل) هذا القيد في التعريف يفصل بين ما كان مقصد الإرهاب منه إحقاق الحق وإبطال الباطل، وما كان مقصده الظلم والفساد.

وهذا التعريف هو الذي ينسجم –فيما يراه الباحث– مع القرآن والواقع؛ فأما مع القرآن فهو يتفق مع قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[الأنفال:60]، وأما انسجامه مع الواقع فلأن الحياة لا تستقيم ولا تستقر بدون وجود قوة رادعة زاجرة، تُرهِب الظالمين والمجرمين وكلَّ من تسول له نفسه الاعتداء أو الإفساد في الأرض.

تنويه:

لا بد من التنويه إلى أن اختلاف التعريفات مرجعه إلى أسباب:

منها: اختلاف الوجهة الدينية أو العقدية أو الفكرية، فما تراه بعض الأفكار أو المعتقدات إرهاباً يراه غيرهم أنه حق، والعكس.

ومنها: الدوافع السياسية، حيث تستهوي بعض الدول الإضرار بجماعة أو دولة أو أصحاب ديانة أو نحوها، فتقرر تجريم تلك الجماعة أو الدولة أو أصحاب الديانة، فيضطرها ذلك إلى تكييف مصطلح (الإرهاب) بما يتناسب مع سياستها؛ من أجل تحقيق مكسب سياسي أو مادي.

ومنها: الجهل والهوى؛ حيث تصدر أعمال إرهابية من جماعة أو أشخاص في دولة أو ديانة ما، فيتم تعميم الاتهام بالإرهاب لتلك الدولة أو جميع المنتمين إلى تلك الديانة، من غير فهم للحقيقة أو الوقوف على طبيعة الأمر.

ومنها: غياب الاعتراف بالأمثلة الحقة لإرهاب المسلمين لأعدائهم وحقهم في ذلك، وذلك لاختلال ميزان القوى وضعف المسلمين، والاقتصار على جانب البغي في الإرهاب حتى لو كان ما فعله المسلمون عدلاً لا بغياً.

([8]) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج10/ 57).

([9]) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص367).

لذا يمكن القول بأن مفهوم الإرهاب في المجتمعات غير الإسلامية – بل وبعض المجتمعات الإسلامية – هو ذلكم المفهوم السلبي البحت، وتكون دوافعه عدوانية سياسية مصلحية في أكثر جوانبها.

ثالثاً: أثر المفهوم الخطأ للإرهاب:

الخطأ في مفهوم الإرهاب وتحديد دوافعه وأنه حق دعا إليه الشرع كوسيلة في جهاد الأعداء البغاة يترتب عليه آثار سلبية بلا شك، ولعل أهم هذه الآثار هو إضفاء الشرعية لأكثر الحالات العدوانية؛ حيث يتم اعتداء بعض الدول العظمى على الدول الضعيفة، وسلب خيراتها ومقدّراتها تحت اسم (القضاء على الإرهاب)، فيسوّغون لأنفسهم ذلك الاعتداء، وهو أخطر ما في هذا الباب، وما معاناة العالم الإسلامي اليوم إلا بسبب ظلم تلك الدول التي كيّفت مصطلح الإرهاب بما يتناسب مع سياساتها، وما يخدم مصالحها.

ومن ناحية أخرى اتُّهم بالإرهاب كل جماعة إسلامية أو حزب وطني يقاتلون دفاعاً عن وطنهم وأرضهم وشعبهم؛ لأن المقاومة عملٌ يتعارض مع مصالح تلك الدول أو حليفتها.

رابعاً: الاستعمال القرآني لمادة (رهب)[10]:

وردت كلمة (رهب) بتصريفاتها في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة؛ خمسة مواضع منها مكية وسبعة مدنية؛ وهذه المواضع تسعة منها في شأن أهل الكتاب، وواحدة في شأن بعض أنبياء الله تعالى، وبالتحديد بعد ذكر زكريا عليه السلام، واثنتان في أمة محمد ﷺ، ويمكن اعتبار أن عشرة مواضع منها جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب، وموضعين في سياق الحديث عن أمة محمد ﷺ، ولعل هذا فيه إشارة إلى أن الرهبنة كانت عند أهل الكتاب ممن سبق من الأمم، بينما شريعة محمد ﷺ فلا رهبانية فيها.

وقد ورد استعمال (رهب) في القرآن على معنيين:

أولهما: بمعنى الخشية والخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:154].

ثانيهما: التعبُّد، والراهب: المتعبِّد في صومعته من النصارى، المتخلي عن المُتَع والناس، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة:82][11]، ولعل المعنى الثاني يرجع إلى المعنى الأول وهو الخوف والخشية والفزع؛ لأن التعبُّد يأتي نتيجة للخوف من الله تعالى وخشيته.

خامساً: نظائر (الإرهاب) في القرآن الكريم:

توجد في القرآن الكريم بعض المصطلحات التي قد تؤدي في مفهومها معنى الإرهاب، ومن هذه المصطلحات:

1. الخوف:

ورد ذكر الخوف في القرآن الكريم مائة وخمس عشرة مرة، ومعنى الخوف: " توقع حلول مكروه أو فوات محبوب "[12].

– بين الإرهاب والخوف:

قال أبو هلال العسكري في « الفروق اللغوية »: " وفرق بعض العارفين بينهما فقال: الخوف: هو توقع الوعيد، وهو سوط الله يقوّم به الشاردين من بابه، ويسير بهم إلى صراطه حتى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رشده، ومن علامته: قصر الأمل وطول البكاء. وأما الرهبة: فهي انصباب إلى وجهة الهرب، رهب وهرب مثل: جبذ وجذب، فصاحبها يهرب أبداً لتوقع

(10) انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (رهب).

(11) مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم (ج1/515-516) ، والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص269).

(12) الجرجاني، التعريفات (ص137).

العقوبة، ومن علاماتها: حركة القلب إلى الانقباض من داخل، وهربه وإزعاجه عن انبساطه حتى إنه يكاد أن يبلغ الرهابة في الباطن مع ظهور الكمد والكآبة على الظاهر "[13].

ويمكن القول أيضاً بأن الرهبة تُشعِر بملازمتها لصاحبها ما بقيت أسبابها قائمة، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ [الأنفال:60]، فإن العدو إن علم بقوة المسلمين هاب جنابهم، وامتنع عن التجرؤ عليهم، وبذلك تبقى الرهبة ملازمة له ما بقيت هذه القوة قائمة، بينما الخوف فقد ينفكّ عن صاحبه، كما قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ [الأحزاب:19].

وأيضاً: الخوف أمر فطري غالباً، يكون في أمر التعبد وقد يكون في غيره مما يرجع إلى طبيعة الإنسان وفطرته، بينما الرهبة فهي أمر عارض يكون له أسباب، والرهبة في الأغلب تستعمل في جانب التعبد.

2. الرعب:

" الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف "[14]، فكأن الخوف قد بلغ فيه مبلغه حتى امتلأ خوفاً وفزعاً وتقطّع قلبه من شدة الخوف، فالرعب أشد من الخوف، وهو متمكّنٌ من صاحبه لا يفارقه، كما قال تعالى: ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ [الكهف:18]، فقد ذكر الرعب بعد الفرار، وهذا يلقي إلينا معنى ملازمة الرعب لصاحبه حتى بعد زوال أسبابه، فإن منطق العقل يقول بأن الإنسان إذا حصل منه الفرار والنجاة من الشئ المخيف أن يزول عنه الخوف؛ لأنه صار في مأمن، لكن هذا الخوف قد بلغ فيه مبلغه حتى تمكَّن منه، وأصبح ملازماً له لا يفارقه أبداً، بخلاف الخوف فإنه يفارق صاحبه –كما سبق ذكره قريباً–، أما الرهبة فقد اتفقت مع الرعب في ملازمة صاحبها ما بقيت أسباب الإرهاب قائمة، فإذا انقضت هذه الأسباب زالت الرهبة.

هذا بالإضافة إلى أن الرهبة يصحبها فرارٌ وهَرَبٌ، أما الرعب ففيما يبدو من معناه بأن القلب يمتلئ خوفاً، فيكون ذلك سبباً في انهيار قوة صاحبه، وفَقْد عزيمته، مما يمنعه من القدرة على الهرب غالباً.

ومن ناحية أخرى فإن لفظ (الرعب) استعمل مع المشركين تارة ومع أهل الكتاب تارة أخرى، بالإضافة إلى موضع سورة الكهف سابق الذكر، ولم يُستعمَل على سبيل الجزم مع المؤمنين في القرآن أبداً، بخلاف الرهبة فإنها مطلوبة من المؤمنين أحياناً في مقامها، وإيجابيتها في تحقيق العبادة، قال تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل:51].

3. الفزع:

هو انقباضٌ ونِفارٌ يعتري الإنسان من الشئ المخيف، ولا يقال: فزعت من الله، وإنما يقال: خفت منه [15]، والفزع يُستعمل في معنى الاستغاثة كذلك، فهو إذن من الأضداد [16]، إذ يُقال: فزعت منه، وفزعت إليه.

وقد استُعمِلت لفظة (فزع) في القرآن الكريم في سياقات تدل على أهوال عظيمة، تَبغَت صاحبها وتفاجئه بحيث يبدو كأنه أمام أمر عظيم مهول لا يدري كيف يتصرف، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل:87]، وقوله في شأن داود عليه السلام: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ ﴾ [ص:21–22]، بالإضافة إلى أن هذا الأمر العظيم المهول ينتظر صاحبه وقوعه مع يقينه بأنه واقع لا محالة، ومع سابق علمه بهوله وعظمته، بينما (الرهبة) شأنها مختلف، فهي أعم من الفزع؛ حيث تعم الخوف من الأمور الجِسام

(13) العسكري، معجم الفروق اللغوية (ص262).

(14) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص261).

(15) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص490).

(16) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج251/8).

وغيرها، ومن ناحية أخرى فإن " الرَّهْبَة مخافة مع تحرُّز واضطراب "[17]، وهذا الأمر المخيف قد يتحقق وقد لا يتحقق، بخلاف الفزع، فإنه يكون عن يقين بتحقيق وقوع الأمر المخيف.

4. الحذر:

الحذر: اجتناب الشئ مخافة منه، والحَذِر: المتيقِّظ، والحاذِر: المستعد، بينما الرهبة: خوف مع تحيّر [18]، وكأن الحذر يزيد عن الرهبة في أن صاحبه يأخذ التدابير الوقائية والأسباب المانعة من إلحاق الضرر به من هذا الشئ المخيف.

فهذه بعض المصطلحات القرآنية القريبة من لفظ (رهب)، وهي وإن اتفقت في الظاهر في معنى الخوف، إلا أنها تفترق فيما بينها، وينفرد كل لفظ عن صاحبه بمعنىً دقيق يخصه ويميزه، فإذا استُعمِل لفظ في موضع ما فلن يقوم مقامه غيره، وسياق الآية هو الذي يحدد اللفظ المؤدّي للمعنى المنسجم مع النظم، وتلكم هي بلاغة القرآن.

وبعد هذا البيان لمعنى الإرهاب وورود مادة (رهب) في القرآن الكريم، والفرق بينه وبين بعض المصطلحات القرآنية القريبة، نشرع في بيان المؤسسة الإرهابية الفرعونية من خلال قصة موسى وفرعون.

المبحث الأول: مقومات دولة فرعون الإرهابية

أي دولة أو مؤسسة كي تحافظ على كيانها، وتضمن استمرارها وبقاءها لا بد لها من أسس تقوم عليها، وركائز تستند إليها، وإلا فسيكون مصيرها إلى الزوال. وقد قامت الدولة الفرعونية الإرهابية على عدة أسس ومرتكزات، نتناولها من خلال الجوانب التالية:

المطلب الأول: الجهاز العسكري

يعتبر الجهاز العسكري اليد الضاربة، والأداة العملية القوية المنظّمة في الدفاع عن الدولة، ولا يمكن لأي دولة من الدول أن تستغني عن جيشها، الذي يحافظ على بقائها واستمرارها، ويدافع عن شعبها وأرضها ومقدراتها. وهذا الجيش لا بد أن يكون مسلّطاً في الحق، ويتفانى في الدفاع عنه، وله ضوابط تحكم تصرفاته، بحيث لا يتعدى حدوده كي لا يقع في الظلم والجور.

إن الدولة الفرعونية الإرهابية الظالمة قد اتخذت جيشاً لا يعرف للرحمة باباً، ولا للعفو واللين طريقاً، فكان عاقبة أمرهم خُسْراً، وصار مصيرهم إلى الهلاك، وذلك جزاء الظالمين، قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ {78}﴾ [طه].

وقد أشارت الآيات الكريمة إلى مكوّنات هذه المؤسسة العسكرية، حيث تتكون من قائد عام وهو فرعون، ووزير يقوم بتمرير أوامره وقراراته وهو هامان، وجنود تحت السمع والطاعة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص:8].

وقد وُصِفت هذه المؤسسة العسكرية بما يدل على مدى ظلمهم واستبدادهم، فمن هذه الصفات:

1. البغي والعدوان:

قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ [يونس:90].

والبغي: " طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرى؛ تارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، وقال بعضهم: البغي: الحسد وقصد الاستعلاء والترقي في الفساد"[19]، والعَدْو: الاعتداء، يقال: " عَدَا فلان عَدْواً وعُدُوّاً وعُدْواناً وعَدَاءً

([17]) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص269).

([18]) انظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص409)، و(ص429).

أي: ظلم ظلماً جاوز فيه القَدْر "[20]، وكلا الوصفين يدلان على منتهى الظلم والاستبداد لدى هذا الطاغية المتجبر، حيث استنفر الجهاز العسكري لمنع بني إسرائيل من السفر، الذي هو حق لكل إنسان أن يغادر بلده متى شاء، ولا شك بأن هذا سلب للحريات، واعتداء على هذا الحق المكفول لدى كل شخص وفق القوانين الدولية فضلاً عن الشريعة الإسلامية، وهذا منتهى الإرهاب وغاية الظلم، وكم هي الشعوب في زمان الحضارة والتكنولوجيا والتقدم قد سُلبت حق الحرية، ووقع عليها الظلم والعدوان بغير حق إلا أنهم راموا هذا الحق ودافعوا عنه، وضحوا من أجله، وكأن التاريخ يتكرر مع اختلاف الأشخاص، ففرعون أراد سلب حق الحرية عن بني إسرائيل، وأراد منعهم منه بالقوة، لكن إرادة الله تعالى فوق كل إرادة، وقوته سبحانه تصغر أمامها كل قوة، فكان نصر الله تعالى حليف المستضعفين، وأوقع سخطه على المتغطرسين والظالمين، وهذه سنة الله تعالى في الأولين والآخرين، وهي باقية إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: 5–6]، وقال ﷻ: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:40] وقال: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الذاريات:40].

2. الاستكبار:

هذه هي الصفة الثانية التي اتصف بها هذا الطاغية ومؤسسته العسكرية، فقد قال تعالى: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:39].

ومعنى الاستكبار: " الحالة التي يكون عليها الإنسان من الترفُّع والتعالي على الآخرين واحتقارهم، والتَّمنُّع عن قبول الحق معاندة وجحوداً وإنكاراً "[21]، ولا شك بأن فرعون وجنوده قد أنكروا الحق إنكاراً يدل على مدى عنادهم وتعاليهم عليه، فقد أرسل الله تعالى إليهم تسع آيات بينات ليؤمنوا، وما أتتهم من آية إلا هي أكبر من أختها لعلهم يُذْعِنون، لكن الصورة جاءت بعكس ما هو متوقع، حيث انقلب الخضوع لله والإذعان للحق استكباراً في الأرض بغير الحق، وانقلب الإيمان جحوداً وإنكاراً، وظنوا أنهم معجزون في الأرض وما هم بمعجزين، فإنهم إلى الله تعالى راجعون، وما ذلك على الله بعزيز، فإنه سبحانه على كل شئ قدير.

إن المتكبر يتعاظم في نفسه فيرى الناس صغاراً، والحقيقة أنها صورة متبادلة، فكما ينظر إليهم ينظرون إليه؛ لكنهم يفترقون عنه أن نظرتهم فيها تذلل وتواضع.

إن فرعون وجنوده كانوا ينظرون إلى بني إسرائيل نظرة احتقار وصَغار وازدراء، فكان بنوا إسرائيل في نظرهم شرذمة قليلون – كما يزعمون –، وموسى عليه السلام مهين لا يكاد يُبين، أما فرعون فهو – كما يدّعي – أنه ربهم الأعلى، والإله الذي ما عَلِمَ لهم من إله غيره، ولا شك بأن من يفكر بهذه النفسية لا يُستَبعد عليه استعباد البشر وقهرهم، خصوصاً أنه استخف قومه فأطاعوه لسفههم وحمقهم، فدفعه استكباره إلى ظلم بني إسرائيل واستعبادهم وقهرهم.

إن المستكبر إذا لم يجد من يردعه ويصده عن ظلم الناس فإنه سيزداد ظلماً وعتواً، ويسترسل في استعباد البشر وقهرهم، وحينئذٍ يسهل عليه أن يلفِّق لهم التُّهَم ويختلق الأكاذيب، ويسخّر وسائل الإعلام المختلفة لإقناع الجمهور بتزييف الحقيقة، وليس هذا غريباً ولا بعيداً، إذا كانت وسائل الإعلام وأبواق الفتنة بأيدي الظَّلَمَة وتحت إمْرَتِهم، والغريب أن في الجمهور سمّاعون لهم، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأَ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَـهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص:38]، هكذا نفسية المتكبرين ومنطق تفكيرهم.

3. الطغيان:

([19]) الكفوي، الكليات (ص247).

([20]) ابن منظور، لسان العرب (ج31/15).

([21]) اللوح، وصيدم، الاستكبار في ضوء القرآن الكريم (ص2).

ومعنى الطغيان: " مجاوزة الحد في العصيان "[22]، ولا شك أن فرعون الذي استخف قومه فأطاعوه قد بلغ إلى الذروة في العصيان والتمرد إلى حدٍّ لا يُسكَت عن مثله، لذا نعته الله تعالى بهذا النعت الشنيع، وأمر نبيه موسى ﷺ أن يقول له قولاً يكون به قوامُه ورشْدُه وردُّه عن غيّه، فقال سبحانه: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:17-19]، لكن طغيانه ألجأه إلى المعاندة والتكذيب بالآيات الكبرى التي جاء بها موسى ﷺ.

لقد طلب من وزيره هامان أن يَبْنيَ له صرحاً علّه يبلغ أسباب السماوات فيطّلع إلى إله موسى بزعمه، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾[غافر:36-37]، بل ودفعه ذلك الطغيان إلى التبجح فيما لا يكون إلا لله رب العالمين، فقال هذا الطاغية: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات:24]، فكان عاقبة ذلك خُسراً، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.

ومن العجيب في هذا الزمان أنك ترى من الذين تقلّدوا مناصب قيادة الأمة يفعل مثلما فعل فرعون وقومه، فمنهم من أباد شعبه، وقتل الأطفال، واغتصب النساء، وأفسد في الأرض إفساداً عظيماً، فكان فِعلُه كفِعْلِ فرعون، وبعضهم قال كلمة فرعون (أنا ربكم الأعلى) وإن لم تكن صريحة في لفظها، لكن الواقع يشهد بأنه قالها بلسان حاله، والأعجب من ذلك أن هؤلاء الطغاة يتكلمون بكلام المسلم الوديع الحريص على دينه وشعبه وأمته!.

4. القتل والتفريق والإجرام بحق الرعية:

وهذا عنوان لهذه المؤسسة الظالمة، كما أخبر بذلك القرآن الكريم في سورة القصص ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:4]، هذا هو دأب المجرمين القَتَلَة، تفريق الشعب إلى فِرَقٍ وجماعات كي تسهل السيطرة عليهم، والإجرام في حق كل من يخالف أوامر القيادة العليا، أو القيام أو مجرد التفكير في القيام بعمل يسئ إلى الحكومة وقيادتها، ولذلك فإن فرعون قد سام بني إسرائيل سوء العذاب؛ وهو كما قال الآلوسي: " أفظعه وأشده بالنسبة إلى سائره "[23]. وقد بنى هذا القتل والإجرام في حق تلك الطائفة من الشعب على تنبؤ المنجّمين بزوال مُلْكِ فرعون الطاغية على يد مولود من بني إسرائيل [24]، ولا شك أن هذا مجرد ظنٍّ وتخمين، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، لكن هذا الظن يمسُّ الحُكْم والسلطة، فلا بد إذن من التعامل معه على أنه يقين، وهذا ما كان من فرعون الطاغية.

إن " العرش والسلطان هما كل شئ في حياة الطواغيت، وكل جريمة يمكن أن يرتكبوها بلا تحرج في سبيل المحافظة على الطاغوت "[25].

فهذه جملة من الصفات التي ذكرها القرآن الكريم، يظهر من خلالها مدى الظلم الذي وصلت إليه المؤسسة العسكرية للدولة الفرعونية الإرهابية، وهي صفات مؤذِنة بزوال المُلْك، وهلاك الظالمين، وهذه سُنّة الله في كل ظالِمٍ مستبِدّ، ولن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً.

(22) الجرجاني، التعريفات (ص183).

(23) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ج253/1).

(24) انظر: الشوكاني ، فتح القدير (ج196/4).

(25) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1350/3).

المطلب الثاني: الجهاز الأمني

جهاز الأمن عصب الدولة، ولا يمكن لدولة أن يُكتَب لها البقاء والاستقرار وبسط السيطرة ما لم يكن لها جهاز أمني قوي، يجمع المعلومات ويحللها، ويرصد الأحداث، ويراقب ويتابع مجريات الأمور داخل البلاد وخارجها؛ لأن ذلك ضمان البقاء والاستمرار، وهذا ينطبق على الدولة العادلة والظالمة على حد سواء.

إن فرعون قد اتخذ لدولته الظالمة جهازاً أمنياً يعتمد عليه في متابعة ومراقبة ما يريد، ومما يدل على ذلك:

1. تقتيل مواليد بني إسرائيل:

حيث كانت المتابعة من هذا الجهاز للمواليد الذكور من بني إسرائيل، فقد كان يَقتُل كل مولود ذَكَرٍ منهم بعد إخبار المنجمين بزوال ملكه على يد مولود من بني إسرائيل، فكانت المراقبة على أشُدِّها لكل مولود يولد فيهم، يؤتى به فيُقتل إن كان ذكَراً، وهو ما يُفهَم من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:49]، ولا شك أن معرفة ذلك تحتاج إلى (جواسيس) يبثهم في أوساط بني إسرائيل؛ يأتونه بخبر كل مولود يولد فيهم، إلى أن وصل الخبر بولادة موسى عليه السلام، لكن الله تعالى حباه برعايته، ونجّاه من كيد هذا الطاغية بقدرته.

ومع أن هذا الجهاز الأمني كان يتابع متابعة حثيثة إلا أنه أثبت عدم فاعليته في الإلمام التام بالمعلومة، وذلك بنجاة موسى عليه السلام من القتل من جهة، وبتربيته في قصر فرعون الطاغية من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة نجاح أخت موسى في اختراق القيادة والوصول إلى المركز لإخبارهم بمَن يكفُل موسى الرضيع، ثم يكون رجوعه إلى أهله وهم لا يعلمون أنها أمه، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ ﴾ [طه:40].

2. خروج موسى عليه السلام وقومه ليلاً:

أمر الله تعالى نبيَّه موسى عليه السلام بالخروج من مملكة فرعون الظالمة الباغية ليلاً، فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه:77–78]، وقال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان:23]، وأسرى وسَرَى بمعنىً، وهو السير ليلاً [26]، وقد أكده بـ ﴿ ليلاً ﴾ كما في الآية الثانية، والأمر بالسير وقت الليل لأن العيون فيه تنام، وتقِلّ حركة الناس في الطرقات، فلا يُكتَشف أمرهم، وهذا حثٌّ لأخذ أعلى درجات الحيطة والحذر في نيل المقصود، لأنه لو كُشِف أمرُهم لما استطاعوا الهروب بعد ذلك، ولهذا كان تحديد الوقت مناسباً للخروج، وأسلم لتحقيق المقصود.

إن هذا الحذر الذي أُمِر به موسى – كما يُفهَم من الآية – يدل على أن هناك من يجب الحذر منه، وهم جنود فرعون وجهازه الأمني الذي من أخصِّ وظائفه أن يبعث جواسيسه لمتابعة أخبار موسى عليه السلام وبني إسرائيل؛ لذا كان ينبغي اختيار الوقت المناسب للخروج، فكان أفضل وقت هو وقت السري ليلاً.

المطلب الثالث: التأييد الشعبي

اعتمد فرعون على حاضنة شعبية واسعة، وقاعدة جماهيرية كبيرة مؤيّدة له في إرهابه وظلمه وبطشه، ولولا أن قومه أيّدوه وساندوه لما قامت مملكته، ولما استمر مُلكُه وسلطانه، قال تعالى مبيناً استخفاف فرعون بقومه، ومدى خِفّة عقولهم: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف:51–54]، وهذه القضية من أخطر القضايا التي تجعل الحُكّام يتحكمون في مصير شعوبهم، فإن هؤلاء المؤيدين للحاكِم يُضْفُون عليه الشرعيَّة، ويمنحونه حرية التصرف في شئون البلاد والعباد، والاستفراد بالقرارات دون الرجوع إلى هذه الحاضنة

([26]) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج377/14).

الشعبية، فيقع بذلك الظلم والبغي والعدوان، وكم هم الذين على شاكلة هذا الطاغية، ممن انتزع الشرعية من شعبه بغير طريقٍ مشروع، وتقلّد أرفع المناصب ليتحكّم في مصير شعبه وأمته، بل إنه حينما وقف شعبه أمام ظلمه واستبداده رأيته يقتل ويسجن ويرتكب من الجرائم ما لا يرحمه عليه التاريخ والأجيال القادمة، وإن الظالمين لهم يوم لا مَرَدّ له: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم:42].

المطلب الرابع: الممتلكات العامة

يعتقد فرعون أن لديه مُلكاً عظيماً، فهو يمتلك دولة عظيمة –مصر– بزعمه، ويمتلك أنهاراً تجري من تحته هنا وهناك، وهو صاحب كنوز وقصور، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف:51]، ولا شك أن هذا تلبيس على العوامّ واستخفاف بعقولهم، الهدف منه صرفهم عن موسى عليه السلام، ولفتهم إلى مُلكه الذي يزعم، لتبقى سلطته وهيمنته عليهم قائمة، ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف:54]، فأمرهم غريب، وشأنهم عجيب، لا عقول تفكر، ولا قلوب تعي، يرون الحق حقاً فيتركوه، ويرون الباطل باطلاً فيتبعوه.

قد يقع الاستغراب أكثر حينما نجد أن بعض الحكام في البلاد الإسلامية في هذا الزمان –زمان الثقافة والعلم– لا زال يسيطر على شعبه بهذا المنطق الفرعوني، ولا زال كثير من شعبه يقولون: إن البلادَ بلادُ هؤلاء الزعماء، والأرضَ أرضُهم، وحينئذٍ تتذكر: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾.

إن فرعون قال لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات:24]، والرب: هو المالك المتصرف فيما يملك، فقد غرس هذا الطاغية تلك العقيدة الفاسدة في قلوب شعبه، وثقّفهم بتلك الثقافة الباطلة، فأطاعوه.

وقد صورت الآيات القرآنية مدى الترف ورغد العيش الذي كان فيه فرعون؛ فمن ذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف:137]، والآية الأخرى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ [الدخان:25–27].

بل إن مُلْكَه قد طال عقول القوم وتفكيرهم، فإنه لما آمن السّحَرة بموسى عليه السلام، قال لهم مقولة تدل على استحواذ هذا الطاغية على تفكيرهم حين اختاروا معتقدهم الذي يريدون، فإن فعلهم هذا –بزعمه– ما كان ينبغي أن يكون خارجاً عن رأيه وإذنه: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف:123]، حتى تفكير الناس واختيار معتقدهم يريد فرعون أن يتملّكه ويستأثر به، " كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن تنتفض قلوبهم للحق ... أو يستأذنوه في أن ترتعش وجداناتهم ... أو يستأذنوه في أن تشرق أرواحهم ... أو كأنما كان عليهم أن يدفعوا اليقين وهو ينبت من الأعماق، أو أن يطمسوا الإيمان وهو يترقرق من الأغوار، أو أن يحجبوا النور وهو ينبعث من شعاب اليقين "[27]، هكذا يريد الطغاة أن ينحدر ولاء الشعب حتى يصل إلى هذا الحد. هذا، ناهيك عن استعباد هذا الطاغية لبني إسرائيل وإذلاله لهم، واستعمالهم في أعماله.

وهكذا نجد أن مقوّمات الدولة الفرعونية الظالمة جعلت فرعون يفتري ويطغى ويستعلي على كل مَن سواه، ليصل به الأمر إلى ادعاء الربوبية واستعباد الناس.

(27) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1350/3).

المبحث الثاني: مظاهر إرهاب فرعون

تعددت طرق الإرهاب عند الطاغية فرعون، واختلفت أساليبه في الإفساد في الأرض وظلم العباد، وهذه وقفة مع مظاهر الإرهاب عند هذا الطاغية من خلال ما قصه علينا القرآن الكريم:

المطلب الأول: الإكراه

إن « الإكراه » يلجأ إليه الظَّلَمَة والطغاة كوسيلة ضمن سلسلة من الوسائل المتدرجة لإرهاب أهل الحق، لتمهّد للوسيلة بعدها، فهي من أخفِّ أشكال الإرهاب عندهم، والمكرَه مقهور بين خيارين؛ إما أن ينفّذ ما أمره به المُكرِه، وإما أن يصبر على ما يصيبه من بطشه وظلمه.

لقد اتخذ فرعون هذه الوسيلة لإكراه السّحَرة على تعلُّم السحر، حيث صرّح به السّحَرة أنفسُهم لما تبيّن لهم الحق، وأن ما جاء به موسى عليه السلام ليس من قبيل السحر، حينئذٍ قالوا: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ [طه:73]، إنهم آمنوا لمّا رأوا الحق ماثلاً أمامهم، وثابوا إلى رشدهم، واتخذوا قرارهم النهائي بأن لا رجعة عن الحق مهما كلّفهم ذلك من ثمن، حتى لو كلفهم إزهاق أرواحهم ومفارقة الأهل والأحباب من أجل نصرة الحق، فكانت بضاعتهم الصبر والتوكل على الله تعالى، ومن كانت هذه بضاعته لا يشقى أبداً.

ولم يقتصر إكراه هذا الطاغية للسّحَرةِ فقط، بل إنه كان قد أكره بني إسرائيل وذللهم واتخذهم عبيداً، وشقّ عليهم في العمل ما لا يُحتَمل، وهو ما ذكَّره به موسى عليه السلام حينما امتن فرعون عليه بتربيته له في قصره حينما كان وليداً، فردّ عليه موسى عليه السلام: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء:22]، وهذا ديدن الظَّلَمَة أن يستعبدوا شعوبهم ويذلونهم ليصيروا عندهم كالأُجَراء.

المطلب الثاني: الحرب النفسية

وهذه الطريقة أوسع الطرق المستخدمة في الحرب والمواجهة، لا تقتصر على طرف دون الآخر، فيستعملها أهل الحق والباطل على حد سواء، ويكون الغرض الأساس منها هو التخذيل والتشتيت وبث الرعب والخوف في قلوب الخصم.

وقد استخدم فرعون هذه الطريقة مع موسى عليه السلام في نواحٍ متعددة:

أولاً: احتقار الآخرين والتلبيس على الجمهور:

قال تعالى متحدثاً في مشهد من مشاهد المحاجة بين موسى عليه السلام وفرعون؛ حيث قال فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف:51-52]، فقد انتهج فرعون منهج التضليل واستغفال الجمهور، ليصل إلى النتيجة التي يريد، وهي أنه على الحق المطلق، وأن موسى عليه السلام في ضلال مبين، مع أن الصواب في مثل هذا المقام أن تواجَه الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، لا أن تكون المواجهة بازدراء الآخرين واحتقارهم، والتلبيس على الجمهور. وما أروع ما قاله سيد قطب –رحمه الله– إذ يقول: " والجماهير المستعبدة المستغفلة يغريها البريق الخادع القريب من عيونها؛ ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد! ومن ثم عرف فرعون كيف يلعب بأوتار هذه القلوب ويستغفلها بالبريق القريب! "[28]، نعم، لقد عرف فرعون من أين يأتي الجمهور الذي استخفه فأطاعوه، وكيف لعِب بأوتار قلوبهم بما بثّه من ادّعاءات كاذبة، وافتراءات على موسى عليه السلام؛ من أجل استهواء القلوب إليه، وإبعادها عن موسى عليه السلام.

---

[28] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج3193/5).

وفي موضع آخر؛ حين آمن السحرة بموسى عليه السلام عند المنازلة، فقد ظهر لهم الحق، وانكشف الباطل وبدت عورته وزيفه، فأُلقِي السحرة ساجدين لله رب العالمين، فقال فرعون حينئذٍ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ [الأعراف:123]، " وإنما قال هذا تستراً وتدليساً على رعاع دولته وجَهَلتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف:54] فإن قوماً صدّقوه في قوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات:24] من أجْهَل خلق الله وأضلهم "[29].

قال الإمام الرازي –رحمه الله-: " اعلم أن فرعون لما رأى أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى عليه السلام عند اجتماع الخلق العظيم، خاف أن يصير ذلك حجة قوية عند قومه على صحة نبوة موسى عليه السلام، فألقى في الحال نوعين من الشبهة إلى أسماع العوام، لتصير تلك الشبهة مانعة للقوم من اعتقاد صحة نبوة موسى عليه السلام:

فالشبهة الأولى: قوله: ﴿ إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى المدينة ﴾ والمعنى: أن إيمان هؤلاء بموسى عليه السلام ليس لقوة الدليل، بل لأجل أنهم تواطأوا مع موسى أنه إذا كان كذا وكذا فنحن نؤمن بك ونقر بنبوتك، فهذا الإيمان إنما حصل بهذا الطريق.

والشبهة الثانية: أن غرض موسى والسحرة فيما تواطأوا عليه إخراج القوم من المدينة، وإبطال ملكهم. ومعلوم عند جميع العقلاء أن مفارقة الوطن والنعمة المألوفة من أصعب الأمور، فجمع فرعون اللعين بين الشبهتين اللتين لا يوجد أقوى منهما في هذا الباب "[30].

ثانياً: الحرب الإعلامية:

إن تسخير وسائل الإعلام المختلفة لبث الإشاعات والأراجيف منهج سلكه أعداء الله تعالى قديماً وحديثاً ولا يزالون، لقد كال فرعون وقومُه الاتهامات إلى موسى عليه السلام كيلاً، وألصقوا إليه افتراءات وأكاذيب اختلقوها، فقالوا عنه ساحر تارة، ومجنون أخرى، وكاذب ومفسِد إلى غير ذلك من الافتراءات، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن ذلك في مواقف مختلفة، فقال في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:109]، وقالوا عنه مجنون، كما أخبر سبحانه في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء:27]، ولا شك أن هذا تناقض عجيب ناجم عن تخبّطٍ من القوم وعشوائية في التوصيف، ألا ترى أن السحر يحتاج إلى عقل وخِفّة في الحركة؟! في حين أن الجنون نقيض ذلك تماماً.

ولقد بث شائعة أخرى بأن وصف موسى عليه السلام بالكذب بجانب وصفه له بالسحر، كما أخبر بذلك القرآن: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:24].

وشائعة كذلك ينشرها في أوساط الشعب يقرر فيها بأن موسى عليه السلام مفسِد في الأرض، ويسعى لإظهار فساده، فلا تأبهوا به، أو تنشغلوا بالتفكير في أمره ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر:26]، فلا زال يزرع هذا المفهوم في عقولهم حتى ترسّخ ذلك عندهم فقال الملأ مقالتهم: ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف:127].

ما أعظم تأثير الشائعات في الجمهور، وما أسرع انتشارها بينهم، وما أكثر السامعين لهذه الشائعات، المرددين لها دون تعقُّلٍ أو تفكُّرٍ في صحتها، ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور:15].

إن هؤلاء المجرمين يمهّدون لجرائمهم ببثّ مثل تلك الشائعات، حتى إذا ترسّخ في عقول العامة ما نوَى هؤلاء المجرمون فِعْله أصبح حينئذٍ ارتكاب الجرائم مقبولاً، ولهذا فإن سلاح الإعلام يُعد من أخطر أنواع السلاح؛ لأنه يطمس الحقيقة، بل أقول: إنه يقلب الحقيقة، ويجعل من الصالحين مجرمين، ويجعل المجرم حملاً وديعاً، وفي الواقع شواهد لا تحصى على هذا.

---

(29) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج458/3).

(30) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (ج403/4-404).

المطلب الثالث: اتخاذ سياسة فرّق تسُد

يتخذ الظَّلَمَةُ من سياسة التفريق وسيلة لبسط سيطرتهم على شعوبهم، وليتيسّر عليهم حكمُهم، ويسهل عليهم تنفيذ ما يريدون، ومن مأثور الكلام: (فرّق تسُدْ)، وهذه طريقة ممنهجة قديماً وحديثاً، وقد سلكها فرعون لفرض قوته وبطشه على قومه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:4]، ولا شك أن تقوية فريق على فريق، يُمكِّن للحاكم من إدارة الفريقين وتوجيههما بكل يُسر، فإذا كانوا أكثر من ذلك فالسلطة عليهم تكون أيسر وأسهل.

إن الفُرْقة تؤدي غالباً إلى الاختلاف والتنازع، والنتيجة الحتمية هي الضعف والوهَن، ولهذا فقد ذمّ الله تعالى الفُرقة والاختلاف المؤديين إلى التنازع، فقال تعالى شأنه: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:46]، وأمر سبحانه بضرورة التئام الصف ووحدته، فقال: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:9]. لكننا نجد الحاكم الظالم يلجأ إلى تفريق الصف، وتشتيت وحدة الشعب، ليصبح فِرَقاً وجماعات متناحرة، وحينئذٍ ينظر إليهم من بعيد، يحرّك هذا ضد ذاك، ويقوّي طرَفاً على الآخر، وينصر جماعة على أخرى، فمَن كان معه، مؤيّداً لفكره، ومتماشياً مع رأيه، نصره وقوّاه وفتَح له جميع الأبواب، ويسّر له كل عسير، ومَن كان معارضاً له، مخالفاً لفكره ورأيه أضعفه وأوهن قوته، وكذلك يفعلون، وهذا ما كان يحدث من فرعون، فقد جعل أهل مصر شِيَعاً يستضعف طائفة منهم، وبالطبع يقوّي طائفة أخرى، فالذين ناقضوا معتقده، وخالفوه في رأيه حُقَّ لهم ألاَّ يعيشوا حياة الكرماء، بل عليهم أن يعيشوا عيشة الذل والهوان، وهذا ما حدث مع بني إسرائيل في حُكم فرعون الطاغية، ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف:127]، إ ضافة إلى أنه جعلهم عبيداً يعملون في خدمته وخدمة ملئه، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء:22].

وهكذا يظهر لنا من خلال ما سبق الأسس التي قامت عليها دولة فرعون الظالمة الإرهابية، وكيف استطاع هذا الطاغية أن يسلك مختلف السُّبُل التي تيسّر عليه حُكْم البلاد وبسط سيطرته على الشعب، وهذا في الحقيقة منهج يسير عليه اللاحقون على نهج سلفهم السابقين.

المطلب الرابع: التهديد والتنفيذ

قد لا تجدي الحرب الإعلامية وتشويه الحقائق وكيل الاتهامات واختلاق الأكاذيب، بل يزيد أهل الحق إصراراً وصلابة وثباتاً على موقفهم ومنهجهم، وحينئذٍ يلجأ الإرهابيون الظَّلَمة إلى بدائل أشد، وعقوبات أكبر، فيلجأون إلى أسلوب التهديد والوعيد، ومن ثَمّ تنفيذ ما توعّدوا به.

إن من العجيب أنك حينما تقيم الحُجّة على خصمك يقوم بتوعّدك وتهديدك بدلاً من أن يستجيب للحق ويذعن إليه، فكذلك يفعل الطغاة المتكبرون، وهذا ما وقع من فرعون الطاغية حينما أقام عليه موسى ﷺ الحُجّة البالغة، وآتاه من الأدلة والبراهين ما بمثله تذعن له العقول، وتذِلّ له الجباه، إلا أن فرعون اشتاط غضبه، وثارت حميّتُه لقوميته، وانتصر لكبريائه، فبدأ يهدد ويتوعّد كل من خرج عن طاعته وسلطانه، فقال لموسى ﷺ: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء:29]، قال ابن عاشور: " لمّا لم يجد فرعون لحجاجه نجاحاً، ورأى شدة شكيمة موسى في الحق، عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها. وهذا شأن من قهرته الحجة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد "[31].

بل إنه في موقف آخر أبلغ في الحجة، وأظهر في البرهان، أبى أن ينصاع للحق، ولجَّ في عتوٍّ ونفور شديدين، وذلك عندما رأى الآية البينة أمام عينيه، عصاً تتحول إلى حية تلقف ما يأفكون، الأمر الذي جعل السَّحَرة يخرون ساجدين، ويرفضون

([31]) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج121/19).

الخضوع والذل إلا لله رب العالمين، حتى لو كلَّفهم ذلك حياتهم، فالآخرة خير وأبقى. وقد أخبرنا القرآن عن ذلك المشهد العظيم، فقال ﷻ: ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:45–51]، بل في مشهد آخر في سورة طه أخبر سبحانه وتعالى عن موقف السحرة حينئذ، فقال: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه:72–73]، فالتهديد إذن لن ينفع، والوعيد لن يجدي إذا كُشِفت الغشاوة عن العيون، وزال الرّان عن القلوب، وإذا خالط الإيمان بشاشته القلوب، فاستنار صاحبه الطريق، وعرف المقصود وإلى أين المصير، حينئذٍ يقول كما قال السّحَرة: ﴿ لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾، وفي النهاية إن العاقبة للمتقين، ولكن الظالمين لا يفقهون.

المطلب الخامس: عقد المؤتمرات واتخاذ القرارات

يخبر تعالى شأنه عن موسى ﷺ أنه بينما كان يمشي في المدينة التي يحكمها فرعون الطاغية إذ رأى رجلين يقتتلان، أحدهما من شيعته بني إسرائيل، والآخر من عدوه الأقباط، فاستغاث الرجل من بني إسرائيل بموسى ﷺ على الذي من عدوّه، فوكزه موسى فقضى عليه فمات، فكان موسى في المدينة خائفاً يترقب ما يكون، وإذا به يُفاجأ في اليوم التالي أن نفس الإسرائيلي يعادي قبطياً آخر، ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص:19]، فما إن سمع القبطي تلك العبارة حتى كان خبرها عند فرعون، وفوراً انعقد المؤتمر للتقرير في شأن موسى ﷺ، وخرج القرار فوراً بقتله، وحينئذٍ جاءه رجل مؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه عليهم، وأخبر موسى بأن الملأ قد ائتمروا على قتله، ونصحه أن يخرج من هذه الأرض فوراً، قال تعالى: ﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:20–21]، فنجّاه الله من كيد الظالمين، وخرج إلى أرض مدين عشر سنين، ثم عاد إلى مصر من الفاتحين، ومثل هذا وقع لنبينا محمد ﷺ، حيث ائتمر المؤتمرون وقرروا قتله، فنجاه الله تعالى من كيدهم، كما أخبر بذلك القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:30]، فكانت الهجرة إلى المدينة المنورة، ومكث فيها قريباً من المدة التي قضاها موسى ﷺ في أهل مدين، ثم رجع ﷺ إلى مكة من الفاتحين، وكأن التاريخ يتكرر بأحداثه مع اختلاف أشخاصه.

إن الظَّلَمة تكثر مؤتمراتهم – بل مؤامراتهم – إذا رأوا الحق يعلو ويظهر، والإسلام يتّسع وتقوى شوكته، وهذا بالطبع يعارض مصالحهم، ويهدد نفوذهم وسلطانهم، فيقررون في تلك المؤامرات بأن هذا (إرهاب) تجب محاربته، ويبدأون في تصنيف الناس والجماعات، ويقلبون الحقائق، ويزيفون الواقع، ويسخّرون الإعلام الممنهج للترويج لباطلهم، ليُقنِعوا الجمهور بذلك الباطل، وينسى هؤلاء وأولئك أن للأرض مالكاً يدبر أمرها، ويسيّر شئونها كيفما شاء لا كما يشاءون هم.

إنها لمؤامرات تقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:30].

المطلب السادس: سياسة الإخراج

هي سياسة متبعة يعمد إليها الظَّلَمة في مواجهة أهل الحق، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن هذا ديدنهم، فقال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم:13]، " إن التجمع الجاهلي بطبيعة تركيبه العضوي لا

يسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله، إلا أن يكون عمل المسلم وجهده وطاقته لحساب التجمع الجاهلي، ولتوطيد جاهليته! والذين يخيل إليهم أنهم قادرون على العمل لدينهم من خلال التسرب في المجتمع الجاهلي، والتميع في تشكيلاته وأجهزته هم ناس لا يدركون الطبيعة العضوية للمجتمع؛ هذه الطبيعة التي ترغم كل فرد داخل المجتمع أن يعمل لحساب هذا المجتمع ولحساب منهجه وتصوره "[32]، لهذا يلجأ هؤلاء الجاهليون لاستئصال الثلة المؤمنة من مجتمعهم، تلك الثلة التي يعتبرونها جسماً غريباً في المجتمع، وهذا بلا شك منطقٌ ظالِمٍ أعوج، لا يمكن أن يصدر من عاقل منصِف.

إن هذه السياسة الإرهابية قد اتخذها فرعون وسيلة لإيذاء موسى عليه السلام وقومه، فقد اضطرهم للخروج من مصر مكرَهين، فقال تعالى شأنه: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً ﴾ [الإسراء:103].

وليس هذا هو الموقف الوحيد الذي وقع من فرعون الطاغية، بل إن موسى عليه السلام قبل هذا المشهد الأخير في حياة هذا الطاغية قد اضْطُرَّ للخروج إلى مدين قبل نزول الرسالة عليه، وقد حدث ذلك حينما وكز القبطي فقتله وانكشف أمره، ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ [القصص:21-22]، فقد خرج موسى عليه السلام وهو خائف؛ لأنه يعلم يقيناً ماذا سيحدث له لو وقع في قبضة فرعون وجنوده، مع أنه لم يتعمّد قتل القبطيَّ، ولكنهم قوم لا يفهمون غير لغة البطش والقتل والتعذيب، فخرج من مصر مضطراً خائفاً يترقب.

وقد وقعت هذه السياسة قبل موسى عليه السلام من الملأ مع شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف:88]، وهي نفسها السياسة المتبعة مع لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل:56]، بل إن نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم قد اضطُروا للخروج من مكة المكرمة مهاجرين بسبب ظلم قومهم وكيدهم لهم، كما أخبر بذلك القرآن الكريم: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة:1]، وكان هذا الإخراج الظالِم سبباً في الإذن بالجهاد، فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج:39-40].

ولا زالت هذه السياسة مستمرة إلى الآن، فكم من شعوب قهرها حُكّامها وسادتها، حتى اضطُرُّوا للخروج من أوطانهم بسبب ظلم هؤلاء الحُكّام واستبدادهم وقتلهم، وشدة بطشهم وإيذائهم؛ وإذ لا تطيق الشعوب ذلك فإنها تهاجر وتترك أوطانها وأرضها وممتلكاتها.

وهكذا يلجأ الطغاة الإرهابيون الظَّلَمة إلى مختلف الوسائل والأساليب الإرهابية الظالمة لإقصاء الحق ونصرة باطلهم، ولكن سنة الله تعالى جرت في هذا الكون بقانون حكيم ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [الإسراء:81].

المطلب السابع: اللجوء إلى الحوار والإغراء

يستعمل الطغاة أحياناً سياسة الحوار، ويبدون في غاية الدبلوماسية، ويكون هذا عندما تعصف بهم حالة نفسية سيئة يمرّون بها، لا يدرون ما يصنعون؟!، ولا يعرفون كيف الخلاص من هذه الأزمة التي حلّت بهم؟!، فحينئذٍ يلجأون إلى المشاورة والمحاورة، مع أنهم كانوا قبل ذلك مستبدّين في آرائهم، لا يعترفون بالآخر.

إن فرعون لما انقطع عن محاجة موسى عليه السلام، ورأى نفسه أنه قد وقع في ورطة لم يدرِ كيف الخروج منها، حينئذٍ لجأ إلى الملأ من قومه تارة، يشاورهم ﴿ قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء:34-35]، وهو كما ترى تشويه إعلامي لموسى عليه السلام، مصحوباً بتهمة السحْر، وغايته وهدفه من هذه التهمة أن يضمن فرعون بقاءهم وثباتهم على دينهم وولاءهم له، واحتواءهم إليه، ولهذا أشركهم الرأي في قرار مصيريّ فصْلٍ بشأن موسى عليه السلام. ولا

([32]) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج4/2092-2903).

شك أن هذه السياسة والدبلوماسية في احتواء الآخرين أمر جيد ومطلوب، بشرط أن يكون من أجل نصرة الحق، وإعلاء كلمة الدين، لا كما يفعل فرعون وأمثاله من الطُّغاة.

وهذا الذي وقع من فرعون مع الملأ تكرر مع السّحَرة كذلك، فقد جمعهم وشاورهم وعرض عليهم العروض المُغْرية؛ فقد وعدهم بأعلى المناصب، وأغراهم بوافر الأجر، انظر إلى حواره الذي دار معهم: ﴿ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء:41-42].

إن هذا المنطق في التفكير، وهذه اللهجة في كلام فرعون ليبدو فيها الكذب، لأنه ما أراد في الحقيقة إلا تحقيق مصلحته ، والمحافظة على ملكه، والانتصار على خصمه، وقد اتخذ السّحَرةَ وسيلة لتحقيق ذلك، والواقع أنه إذا تحقق له المقصود؛ فإن سيتنصّل من كل هذه الوعودات الكاذبة، والإغراءات الخدّاعة، فقد شهد القرآن عليه وعلى قومه مواقف كهذا الموقف بل أكبر منه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الأعراف:134-135]، مع أن الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم من الآيات ما يثنيهم عن باطلهم، ويُخْضِعهم إلى الحق، لكنهم لجأوا إلى موسى عليه السلام مبدأ الأمر ليرفع عنهم العذاب، فلما كشفه الله تعالى عنهم نكثوا واستكبروا.

إن دبلوماسية الحوار عند الطغاة الظالمين لا تنفع، ولا يكون هدفها إلا مصالح شخصية لدى هؤلاء المتمرّدين، ولا بد لأهل الحق أن يكونوا في غاية الحذر عند حوارهم معهم وعقد الاتفاقيات وأخذ العهود؛ لأن جانبهم غير مأمون.

المبحث الثالث: وسائل الوقاية من إرهاب الظالمين

قصة فرعون الطاغية مع موسى عليه السلام تعدّ نموذجاً حياًّ من النماذج التي يعرضها القرآن الكريم للصراع بين الحق والباطل، وسطوة الباطل وتربصه بأهل الحق، وسبل النجاة من كيد الظالمين. وقد كشف القرآن الكريم في هذه القصة التاريخية الفريدة وسائل متعددة لجأ إليها أهل الحق في صراعهم مع هؤلاء الظَّلَمة الطغاة، أقتصر على ثلاثة منها:

المطلب الأول: غرس الثقة بالله والتوكل عليه

" سر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون اليها، كما لا ينفعه قوله: (توكلت على الله) مع اعتماده على غيره وركونه إليه، وثقته به، فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء "(33).

إن التوكل على الله والثقة به يبدوان بجلاء في موقف موسى عليه السلام عندما أسرى ببني إسرائيل ليلاً، وأتبعهم فرعون بجنوده، حتى إذا كان البحر أمامه والعدو من ورائه قال له قومه بأننا مدرَكون لا محالة، لكن ثقته عليه السلام بالله ملأت قلبه، وتوكله عليه كان كاملاً، فقال لهم بكل ثقة: ﴿ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:62]، " لم يقل موسى عليه السلام ﴿ كلا ﴾ اعتماداً على قولته واحتياطه للأمر، وإنما قالها اعتماداً على ربه الذي يكلؤه بعينه، ويحرسه بعنايته "(34)، فكان الفرج العاجل عند الكرب النازل، وجاء الخلاص بقوله تعالى له: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:63]، فخرق الله تعالى له نواميس الكون، وكذلك يفعل الله لأوليائه، فانفلق البحر طرقاً شتى كانت سبباً لنجاة أوليائه وهلاك أعدائه.

إن الثقة بالله تعالى والتوكل عليه ديدن الصالحين وعباد الله المتقين، لا يقف على زمان دون زمان، ولا أشخاص دون أشخاص، فهي سنة الله تعالى في عباده إلى يوم الدين؛ فهذا نوح عليه السلام فيما أخبر عنه القرآن: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا

(33) ابن منده، الفوائد (ص87).

(34) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج10578/17).

قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ [يونس:71]، وهذا هود عليه السلام مع قومه: ﴿ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود:53-56]، وهكذا كان الأنبياء مع أقوامهم، وهكذا الصالحون إلى يوم الدين، ولا زال التاريخ يشهد قوة عاتية تدعمها قوى الشر في هذا العالم، وقد تصدى لها مجاهدو (غزة)، مؤيَّدين بمعية الله، واثقين بنصره، متوكلين عليه، ولسان حالهم يقول: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:173]، ومن كان الله وكيله وناصره فمَن الذي يستطيع أن يخذله؟! ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:160]، فالله تعالى نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير.

المطلب الثاني: التحلي بالصبر على البلاء

الصبر قرين التوكل، وهو خلُق نبوي كريم، وعُدَّة السالكين للدعوة إلى الدين القويم، فقد قالت الرسل لأقوامهم لمّا بلغ التكذيب والعناد أوجه: ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم:12]، وقال تعالى آمراً رسوله الكريم ﷺ بما أمر به المرسلين: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:35]، وقد أخرج الإمام أحمد –رحمه الله– من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وذكر فيه: « واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً »[35].

ولا شك أن موسى عليه السلام كان له أوفر نصيب من الصبر على أذى الطاغية فرعون وقومه، وإصرارهم على التكذيب والعناد منقطع النظير. لقد جاءهم موسى عليه السلام بآيات مبصرة فاستكبروا ولجّوا في عتو ونفور، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، حتى وصل الحال به عليه السلام أن يدعو عليهم ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس:88]، جاء هذا نتيجة التكذيب الشديد والإصرار العجيب على الكفر.

ولم يقتصر الأذى على موسى عليه السلام وحسب، بل لحق قومَه أذىً شديدٌ بين قتل وتعذيب وإذلال، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ{23} إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ{24} فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَ فِي ضَلَالٍ{25} وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ{26}﴾ [غافر]، ولقد بلغ التعذيب فيهم مبلغاً عظيماً، ووقع منهم الإيذاء موقعاً كبيراً، حتى شكَوْا ذلك لموسى عليه السلام فقالوا: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف:129]، فحثّهم على الصبر والاستعانة بالله والتوكل عليه؛ لأن سنّة الله تعالى جرَت في هذا الكون ألا يبقى شئ على حاله، وأن الظلم إلى زوال، ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:128].

" إنها رؤية « النبي » لحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه. ولحقيقة الواقع الكوني والقوى التي تعمل فيه. ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون.

إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين. وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين. وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه. وألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب، ولا يعلمون الخير.

([35]) ابن حنبل، المسند (ج1/307)، قال المحقق الأرنؤوط: صحيح.

وإن الأرض لله. وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها. والله يورثها من يشاء من عباده – وفق سنته وحكمته – فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين، إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها"(36).

ولقد طال أذى هذا الطاغية السّحَرَة لما آمنوا بربهم، حيث توعّدهم بالقتل والتعذيب متعدد الأشكال؛ بين تصليب على جذوع النخل، وتقطيع للأيدي والأرجل من خلاف، وهذا تفنُّن في ابتكار وسائل القتل وصنوف التعذيب، لكن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب هانت دونه الصعاب، فقال السّحَرة لما آمنوا: ﴿ قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف:125–126]، ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه:72–73]، ولهذا كانت نتيجة هذا الصبر ما أخبر الله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ{137}﴾ [الأعراف]، وهي سنة الله الباقية الدائمة إلى يوم الدين.

فالصبر إذن هو أهم ما يتزود به الداعية إلى الله تعالى في طريق الدعوة؛ لأن طريق الدعوة محفوف بالأشواك والمصاعب، كثير العثرات، بالغ التحديات، وفيه من صنوف الأذى ما لا يعلمه إلا الله، وحينئذٍ لا بد من الصبر لتجاوز كل هذه المِحَن والصِّعاب.

المطلب الثالث: الحُجَّة البالغة في محاورة الظالمين

إن من أهم ما يحتاجه الداعية في طريق الدعوة إلى الله تعالى الحُجج والبراهين، فإن حاجته إليها لا تقل عن حاجته للماء والهواء من أجل البقاء والاستمرار، ولذا فإن الله تعالى قد أيّد رسله جميعاً بالمعجزات والدلائل والبراهين، ومنحهم الحُجة البالغة في مواجهة الطغاة وخصوم الدعوة، فإبراهيم ﷺ حاجّ النمرود فلم يستطع ردًّا حتى بُهت، وهكذا أنبياء الله أجمعين.

إن موسى ﷺ قد أيده الله بآيات باهرة، ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ [النمل:12]، ومن أبرز معجزاته ﷺ العصا، حيث ليس من المألوف أن تُلقى العصا فتنقلب حية تسعى، وليس من المعروف لدى القوم أن يتغير لون اليد عند إخراجها من الجيب إلى بيضاء من غير سوء، وقد أظهر موسى ﷺ هذه المعجزات أمام فرعون وملئه، فلم تؤثّر شيئاً في قلوبٍ قست فهي كالحجارة أو أشد قسوة، فقالوا: سحْر مبين، ولقد أرسل الله تعالى عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصلات، لكنهم استكبروا وكانوا قوماً كافرين، بل إن الله تعالى فلق البحر أمامهم، وجعل فيه طُرُقاً مذللة للسالكين، فما اعتبروا ولا ادّكروا، فكانت فيه نهايتهم أجمعين، فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لما وقع عذاب ربك.

إذن قارعهم موسى ﷺ بالحُجة البالغة، وقدّم لهم الدليل تلو الدليل، والبرهان بعد البرهان، ولكنها لم تَعْمَ الأبصار؛ وإنما عميت القلوب التي في الصدور.

وهكذا فإن الداعية إلى الله لا بد أن يتسلح أمام قوى الشر والطغيان بأسلحة لا قِبَل للعدو بها، وليس أعظم من سلاح التوكل على الله والثقة به، وسلاح الصبر والحجة والبرهان. وهناك أسلحة أخرى غير هذه المذكورة؛ كسلاح الدعاء على الظالمين، والإعلام الهادف إلى فضح إجرامهم، وكشف ظلمهم، وغيرها من الأسلحة، فإن الداعية المسلم إذا امتلك هذه الأسلحة فهو في خير عظيم، ولن تضرّه قوة مهما عظمت، فإن كل قوة مهما عظمت فهي أمام قوة الله ضعيفة ذليلة، ومَن كان الله معه فمَن عليه؟! وحسبك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:3].

---

(36) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1355/3).

المبحث الرابع: عاقبة الظلم والإرهاب

إن هذا الكون يخضع لنواميس وسنن، وإن من سنن الله تعالى في هذا الكون أن جعل النصر والتمكين لعباده المتقين وأوليائه الصالحين، والخسران المبين للظالمين والمفسدين والإرهابيين، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، فهي كذلك من لدن آدم ﷺ إلى يوم الدين.

هذه قصة فرعون الطاغية مع موسى ﷺ بما فيها من مشاهد إرهابية، تمثِّل نموذجاً من النماذج المعروضة عبر التاريخ، تحدث عنها القرآن الكريم بكل صدق، وبمنتهى الدقة في عرض أحداثها، وقد عرض القرآن الكريم آخر حلقات هذا النموذج الإرهابي والظالم، وبيّن تفاصيل نهاية الصراع بين الحق المتمثل في موسى ﷺ ومَن تبعه، والباطل المتمثل في فرعون الإرهابي الطاغية ومَن تبعه، فكانت النتيجة أمرين لا ثالث لهما:

أولاً: هلاك الظالمين:

بعد أن بلّغ موسى ﷺ فرعون وقومه رسالة الله، ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قابله فرعون الطاغية بالتكذيب والتعذيب، ورفض دعوة الله جحوداً وإنكاراً واستكباراً، فاستحق عقوبة الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:41-4]، وقد بيّنت الآيات الكريمة في مواضع مختلفة من سور متعددة طريقة الأخذ والهلاك لفرعون وجنوده، ووصفت الحالة التي كانوا عليها عند هذا الإهلاك: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:40]، وقال في موضع آخر: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف:55]، وقال تعالى: ﴿ وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان:24]، فكانت وسيلة الإهلاك بالإغراق في اليم.

إن فرعون وقومه كانوا يعيشون في نعمة واسعة، وعطاء ممتدّ، صوّرت لنا الآيات هذه النعمة التي تركوها ميراثاً لبني إسرائيل، فقال ﷻ: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ [الدخان:25-27]، وفي موضع آخر قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء:57-58]، وكان يستوجب ذلك عليهم شكر هذه النّعم؛ لكنهم جحدوها، فكان جحودهم سبباً لإهلاكهم.

هذه الآيات كشفت عن عاقبة فرعون الطاغية وقومه في الدنيا، وبينت كذلك ما يحصل لهم في القبر، ثم ما يكون من العذاب الشديد في الآخرة، فقد قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر:45-46].

إن هذه العاقبة هي النتيجة الحتمية لكل ظالم متكبر، إن كان ذلك عاجلاً أم آجلاً، ولكن حِكمة الله إمهالُ الظالم، حتى إذا أخذه الله لم يفلته، في الصحيحين عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته »، قال: ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:102][37].

ثانياً: نجاة موسى ﷺ والمؤمنين من أيدي الظالمين:

وهذا يأتي ضمن السنن الإلهية في هذا الكون، حيث قرر موسى ﷺ هذه الحقيقة أثناء تبليغ الرسالة، فقد قال لقومه لما حثهم على الصبر على أذى فرعون: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:128]، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، إنه يبني هذه الحقائق على علمٍ علّمه إياه ربُّ العالمين، لذا فإن الأمر كان كما قال ﷺ:

([37]) [البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير/تفسير سورة هود/باب قوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾. 1726/4: رقم الحديث 4409]، [مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب/باب تحريم الظلم. 1997/4: رقم الحديث 2583].

فأما الحقيقة الأولى: وهي أنه ﷺ قرّر أن الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده، وهذا ما حدث فعلاً، حيث أورث الله تعالى بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف:137]؛ أي: أورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُقهرون ويُستَذَلون بذبح الأبناء واستخدام النساء والاستعباد أرض الشام ومصر التي كانت تحت مُلْك الطاغية فرعون [38]، وقد تأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ﴾ [الدخان:28]، وهؤلاء القوم هم بنو إسرائيل[39]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء:59]، قيل: " أن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن "[40].

وأما الحقيقة الثانية: وهي أن العاقبة للمتقين، وهذه العاقبة تجلّت في نجاة موسى عليه السلام ومَن معه من المؤمنين في وسط آية غريبة عجيبة، وهي انفلاق البحر طرقاً شتى، يمرّون خلالها في منظر عجيب غير مشهود في تاريخ البشرية، وفي ظل هذا المشهد العجيب تستمر الغطرسة والظلم في مطاردة موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، ليظل مسلسل الإرهاب مستمراً إلى آخر لحظات حياته، ونزول الهلاك به وبجنوده، ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:90-91]، وهكذا تجري سنة الله تعالى، بأن ينجي المؤمنين، ويخلِّصهم من أيدي الظالمين.

ومثل هذه القصص لا يقصها الله تعالى على الناس لأجل التسلية، ولم يذكر عواقب الفريقين من أجل الاستمتاع بقراءتها والتعرف على أحداثها، وإنما ذكر ذلك لأخذ العبرة والاستفادة من مصارع السابقين، وقد تقرر ذلك في سورة الشعراء، فقال ﷻ: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:65-67].

أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

يمكن الوقوف على النتائج التالية:

1. إن مفهوم الإرهاب لا يقتصر على ذلكم المفهوم الذي راج استعماله في معناه المذموم، وترك آثاراً سيئة في الواقع، بل يكون إيجابياً محموداً، يعتمد عليه المسلم كسلاح ردع في حربه مع عدوه كما ذكرته الآية الكريمة من سورة الأنفال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴾ [الأنفال:60].
2. إن القرآن الكريم قد استعمل ألفاظاً نظيرة للفظ (الإرهاب)؛ كالخوف والرعب والفزع والحذر، وهي تتفق معه في جوانب، وتختلف عنه في جوانب أخرى.
3. إن الإرهاب له أسباب ودوافع، كما أن له أهداف وغايات يسعى الإرهابي (كفرعون) لتحقيقها، ويأتي على رأسها: حُبُّ المصلحة، وفَوْتُ السُّلطان.
4. إن إرهاب فرعون ليس مجرد إرهاب شخص عادي أو جماعة أو حزب، وإنما هو إرهاب مؤسسة ودولة، لها أجهزتها وقياداتها ونظامها؛ أهم هذه الأجهزة الجهاز عسكري والأمني، فهو إرهاب على أعلى المستويات؛ إذ هو إرهاب منظم.
5. أهم صفات الجهاز العسكري في المؤسسة الإرهابية البغي والعدوان والاستكبار والطغيان والقتل والتفريق والإجرام، فتجد إرهابه يطول كل موضع في الدولة.

([38]) انظر: البغوي ، معالم التنزيل (ج273/3)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج316/9).

([39]) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج253/7).

([40]) البغوي، معالم التنزيل (ج115/6)، عزى الآلوسي هذا القول للواحدي، انظر: الآلوسي، روح المعاني (ج83/19).

6. الجهاز الأمني يعتبر عصب المؤسسة الإرهابية، بدونه تُصاب بالشلل التام، ولذلك لا تخلو منه دولة من الدول، أو مؤسسة من المؤسسات، ولا يمكن الاستغناء عنه، سواء في الدولة الظالمة أو الدولة العادلة.
7. كل مؤسسة ظالمة ليس لها قاعدة شعبية حاضنة وممتلكات واسعة لن يُكلّل لها النجاح والبقاء.
8. هناك أسلحة متعددة الأشكال للطغاة الإرهابيين، تتراوح بين التشهير والتهديد والإكراه والتعذيب، وقد تصل إلى القتل والتدمير، كما أن هناك أسلحة متعددة الأشكال للدعاة وأهل الحق، يتسلحون بها في مواجهة الإرهابيين والطغاة، أهمها: الثقة بالله تعالى والتوكل عليه، والصبر، والتزود بزاد الحجة والبرهان.
9. هذا النموذج الإرهابي المتمثل في الطاغية فرعون، وصراعه مع موسى عليه السلام الذي يمثل الحق، يكشف عن حقيقة وهي: أن الصراع بين الحق والباطل مستمر لا يتوقف ولا ينتهي إلا بانتهاء الباطل.
10. إن نتيجة الصراع بين الحق والباطل، بين الداعية إلى الله والإرهابي الطاغية هي: هلاك الإرهابيين الطغاة، ونجاة المسلمين الدعاة، وهي سنة الله الثابتة الباقية، لا تتغير ولا تتبدل.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. دراسة الإرهاب من جانبه الآخر، وهو الوجه المحمود، وبيان الفرق بينه وبين الإرهاب السلبي المذموم، لئلا تختلط المفاهيم.
2. وجوب إيصال المفهوم الصحيح للإرهاب الإسلامي المحمود، وذلك ببيان وسائله وأهدافه ومقاصده، والمقارنة بينه وبين الإرهاب السلبي المذموم، ثم ترجمة تلك الدراسات إلى لغات أخرى؛ لأن الأعداء قد شوهوا صورة الإسلام أمام الشعوب، وسخّروا لهذا الهدف مختلف وسائل الإعلام والغزو الفكري، وعرضوا الإسلام أمام تلك الشعوب المضلَّلة بأنه دين إرهاب وقتل وسفك دماء، وتعذيب للناس وانتهاكٍ لحقوقهم، واغتصابٍ لأراضيهم وممتلكاتهم، وسلبٍ لحرياتهم، وما إلى ذلك من الاتهامات التي كالوها للإسلام كيلاً تحت غطاء (الإرهاب)؛ لذا كان لزاماً على ذوي الاختصاص دراسة موضوع الإرهاب المحمود من وجهة نظر إسلامية بالصورة التي ذكرنا، ثم نقل المفهوم الصحيح للإرهاب الإسلامي إلى تلك الشعوب؛ كي تتضح أمامهم الصورة الحقيقية للإسلام.

وأخيراً، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث صاحبه وقارئه والمسلمين، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من زلل أو تقصير فمنّي ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر

الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود. (د. ت). ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأصفهاني، حسين بن محمد. (د. ت). ***المفردات في غريب القرآن***، تحقيق: وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ومكتبة نزار مصطفى الباز (د. ط).

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1407هـ/1987م). ***الجامع الصحيح المختصر***. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. (ط3). بيروت: دار ابن كثير.

بدر، بدر الدين ناصر. (1425هـ / 2004م). ***إرهاب المستأمن وموقف الإسلام منه***، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب " المملكة العربية السعودية "، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البغوي، الحسين بن مسعود (1409هـ). ***معالم التنزيل***. تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميريّة، وسليمان مسلم الحرش. (د. ط). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1405هـ). ***التعريفات***. تحقيق: إبراهيم الأبياري. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد. (د. ت). ***المسند***. (د. ط). القاهرة: مؤسسة قرطبة.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي. (د. ت). ***مفاتح الغيب***. (د. ط). مطبعه علي بك–الاستانه.

سانوا، قطب مصطفى. (1425هـ / 2004م). ***في مصطلح الإرهاب وحكمه قراءة نقدية في المفهوم والحكم من منظور شرعي***، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب " المملكة العربية السعودية "، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الشعراوي، محمد متولي. (د. ت). ***خواطر حول القرآن الكريم***. (د. ط). دار أخبار اليوم.

الشوكاني، محمد بن علي. (1415هـ/1995م). ***فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير***. (ط1). مراجعة وتعليق: الشيخ هشام البخاري، والشيخ خُضر عكاري. بيروت: المكتبة العصرية.

الصرهيد، مطيع الله بن دخيل الله. (1425هـ / 2004م). ***حقيقة الإرهاب المفاهيم والجذور***، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب " المملكة العربية السعودية "، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1884هـ). ***التحرير والتنوير***. (د. ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (د. ت). ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم***.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (1412هـ). ***معجم الفروق اللغوية***. (ط1). تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة. تنظيم: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (1399هـ/1979م). ***معجم مقاييس اللغة***، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (د. ط). (د. م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1427هـ/2006م). ***الجامع لأحكام القرآن***. (ط1). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

قطب، سيد. (1432هـ/2011م). ***في ظلال القرآن***. (ط39). *القاهرة*: دار الشروق.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420هـ/1999م). ***تفسير القرآن العظيم***. (ط2). تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (د. ط). (د. م). ودار طيبة للنشر والتوزيع.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. (1419هـ/1998م). ***الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية***. (ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة.

مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، (1409هـ=1989م). ***معجم ألفاظ القرآن الكريم***. (ط2). (د. م). (د. ن).

مسلم، مسلم بن الحجاج. (د. ت). ***المسند الصحيح المختصر***. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (د. ت). ***لسان العرب***. (ط1). بيروت، دار صادر.

ابن منده، عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد. (1412هـ). ***الفوائد***. (ط1). تحقيق: مسعد عبد الحميد، طنطا: دار الصحابة للتراث.

اللوح، عبد السلام حمدان، وصيدم، إبراهيم عيسى. (1436/4/8هـ). ***الاستكبار في ضوء القرآن الكريم***، موسوعة التفسير الموضوعي "السعودية "، الرياض: جامعة الملك سعود، كلية التربية، كرسي القرآن الكريم وعلومه، قسم الثقافة الإسلامية.

الهرفي، محمد بن علي. (1425هـ / 2004م). ***مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها***، ورقة مقدمة في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب " المملكة العربية السعودية "، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.